Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

أثر سياسة الخلفاء العباسيين في الشعر

د. محمد محمد عيسى فيض
كلية السياحة والضيافة – مصراتة
efedmohammed@gmail.com

الملخص:

إن العصر العباسي كان مملوءًا بالأحداث السياسية المهمة والخطيرة، التي تركت أثرها الكبير في تاريخ العرب والمسلمين على طوله وتأرجحه بين القوة والضعف، وقد كان نجاح وصولها إلى كرسي الحكم، ثم تم لهم ما أرادوا، فأحاطوها بما يضمن لها القوة والازدهار، قد كان الصراع على الخلافة ميدانًا فسيحًا تسابق فيه الشعراء، يمدحون هذا، ويذمون ذاك، ويبرهنون على أحقية هذا، ويبعدون الأحقية عن ذاك، مما جعل ذلك باباً طويلاً من الأبواب التي أخرجت لنا كماً وافراً من الشعر الذي يدور في فلك السياسة بشكل أو بآخر، إن الأثر السياسي للخلفاء العباسيين الأوائل قد أثرى الحركة الأدبية لما دار في كنفه من أدب رفيع، وشعر كثير، امتلأت به أمهات الكتب، وبطون الدواوين الشعرية.

الكلمات المفتاحية: السياسة، الخلفاء، العباسيون، الأوائل، الشعر.

The impact of the policy of the Abbasid Caliphs on poetry

Mohammed Mohammed Issa Faid
Faculty of Tourism and Hospitality - Misurata

Abstract:

The Abbasid era was full of important and dangerous political events, which left a great impact on the history of the Arabs and Muslims throughout its length and oscillation between strength and weakness. The success of her arrival to the throne of power was achieved, and then they achieved what they wanted, so they surrounded her with what guaranteed her strength and prosperity. The struggle was over the Caliphate is a vast field in which poets competed, praising this, disparaging that, proving the right of this, and denying the right to that, which made this a long section of the sections that produced for us a large amount of poetry that revolves in the orbit of politics in one way or another. The political impact of the Caliphs of the early Abbasids enriched the literary movement due to the fine literature and much

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

poetry that it possessed, which filled the most important books and the bellies of poetry collections.
Keywords: Politics, Caliphs, Abbasids, Early, poetry

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

لم يكن دور الخلفاء العباسيين الأوائل السياسي مقتصرًا على الصراع على كراسي الخلافة فقط، وإنما اتسع هذا الدور ليشمل غير ذلك من الصراعات داخل البيت العباسي نفسه كالصراعات المذهبية، والدينية وغيرها، ولمعرفة ما إذا كان للخلفاء أثر سياسي في الشعر، فقد خاض الشعراء في كل هذه الاضطرابات السياسية، وأبدعوا فيها القول، لكن بابًا سياسيًا أوسع من ذلك كان مفتوحًا أمام الشعراء، قالوا فيه فأبدعوا، وجادت قرائحهم على أعلى ما تكون الإجادة، وهو في تأريخ الانتصارات السياسية الكبيرة، فلقد مدحوا القواد والخلفاء والوزراء بقصائد مملوءة صدقًا شعوريًا، فإن هذه الأحوال السياسية قد تركت لنا كمًا غير قليل من الشعر، وقد بدأ أثر سياسة الخلفاء العباسيين الأوائل في الشعر بدرجة كبيرة، سيحاول البحث هنا تناول هذا الموضوع بالبحث آملاً بذلك أن يلقي الضوء ولو قليلًا على أثر سياسة الخلفاء العباسيين في الشعر، وقد حاولت أن أجعل هذا البحث خلاصة واختصارًا لما قرأته في الكثير من المصادر عن أثر سياسة الخلفاء العباسيين في الشعر، واستدعت طبيعة هذا البحث أن يكون في مبحثين وبعدهما خاتمة، يتناول المبحث الأول أثر سياسة الخلفاء العباسيين الأوائل في دعم الأدباء والشعراء والاهتمام بهم، ويتناول المبحث الثاني أثر سياسة الخلفاء العباسيين الأوائل في الشعر، وتناولت الخاتمة النتائج التي توصل لها البحث.

والله أسأل أن يكون هذا البحث مصدر نفع وعون للدارسين، وأن يوفقنا جميعًا لما فيه الخير والنجاح، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: أثر سياسة الخلفاء العباسيين الأوائل في دعم الأدباء والشعراء والاهتمام بهم:

كان بدء أمر بني العباس اعتقادهم أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أعلم العباس بن عبد المطلب أنه ستؤول الخلافة إلى ولده، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك، ويتحدثون به (الطبري، 1966، ص421).

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

وقد كان ضروريًا أن تنتظر اللحظة المناسبة لتحقيق ما يعتقدون أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قد بشر به.

وقد ساعد العباسيين في نجاح ثورتهم (حسن، 1990، ص5)، مجموعة الأخطاء القاتلة التي وقع فيها حكام بني أمية، من تقديمهم العرب على الموالي، وغفلتهم عن شؤون الرعية، وانحراف بعضهم، كالوليد بن يزيد الذي يقال إنه "كان مدمناً للخمر، منادمًا للفساق، وكأنما كان إشارة الوقت لما أدرك الخلافة الأموية من ضعف وفساد" (ضيف، 1966، ص11). ولم يكن ظهور العباسيين على الساحة السياسية ظهورًا عشوائيًا، فقد كان معدًّا له قبل ذلك، عن طريق قربه من شيعة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–، فقد "نفذوا إلى أمنيتهم عن طريق فرقة الشيعة الكيسانية التي تكونت حول ابن الحنفية" (ضيف، 1966، ص10)، إلا أن الخلافة تحولت من العلويين إلى أبناء عمومتهم العباسيين، ليبدأ المسلمون عهدًا آخر من الصراعات بين العباسيين والعلويين.

وعلى أكتاف الفرس قامت الدولة الجديدة، وأعلن العباسيون دعوتهم التي طالما أخفوها، منادين في بداية الأمر أنهم يطلبون إسقاط الدولة الأموية الجائرة، التي طالما أرهقتهم بعسفها وظلمها، وطالما احتكرتهم لمآربها وشهواتها مع الاستبداد بالشعب واستبعاده، "ومع ما يعيش فيه الأمويون من ترف بالغ أفسد أداة الحكم إفسادًا لا صلاح لها بعده إلا بمحوهم محوًا" (ضيف، 1966، ص13)، وهكذا انتقلت الخلافة إلى العباسيين.

شهد هذا العصر نهضة ثقافية كبيرة، ولم تقتصر على الثقافات العربية وحدها، بل تنوعت من فارسية إلى هندية، إلى يونانية، إلى غير ذلك من الثقافات التي عم المجتمع نفعها، وشهد التاريخ للخلفاء في العصر العباسي الأول بالقوة وحب العلم، وتشجيعه، والحث عليه، وطلبه، فقد كان للمنصور دفاتر علم، وكان شديد الحرص عليها حتى أوصى ابنه المهدي بها عند وفاته (زيدان، د.ت، ص22)، واستدعى الرشيد أبا معاوية الضرير ومحمد بن حازم ليسمع منهما الأحاديث النبوية (ابن كثير، د.ت، ص576)، ولما دخل المأمون بغداد وقرّ بها قراره، وأمر أن يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته (ابن طيفور، 1949، ص20). فهو عصر الإسلام الذهبي، بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها في الثروة والحضارة والسيادة، وفيه نشأت أكثر العلوم الإسلامية، ونقلت أهم العلوم الدخيلة إلى العربية (زيدان، د.ت، ص20)، وقد شجع الحكام –خلفاء ووزراء– العلماء، وأنفقوا عليهم ببذخ، وقربوهم، وأجروا عليهم الأرزاق، وآكلوهم، وحدثوهم وسهلوا لهم سبل العلم، ومهدوا لهم طرق الحصول عليه، "أما من كان يُعلم

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

أبناء الخلفاء والوزراء والبيت العباسي والقواد والسراة، فقد كانت تفرض لهم رواتب كبيرة، جعلتهم يعيشون في خفض من العيش وسعة من الرزق" (ضيف، 1966، ص100). وهكذا ازدهرت الحياة الثقافية في العصر العباسي.

ومن المتعارف عليه بين مؤرخي الأدب، أن المجالس الأدبية قد عرفت قبل العباسيين، بل كانت هناك مجالس أدبية راقية قبل الإسلام، كسوق عكاظ وغيرها، وفي صدر الإسلام وعصر بني أمية اهتم العرب اهتمامًا كبيرًا بالأدب أيضًا، غير أن الدور الحقيقي الذي لعبته قصور الأمويين في تنشيط هذه المجالس وتطويرها، بدأ مع عبد الملك بن مروان، نظراً لما تمتع به هذا الرجل من أدب رفيع، وثقافة واسعة، وسليقة أدبية حملته على الاهتمام بشؤون الشعر والأدب، وإكرام أهلهما (هاشم، 1987، ص59). واستمر الأمويون يهتمون بالشعر والأدب داخل قصورهم يتباين ذلك من خليفة إلى آخر، حتى وصلت هذه المجالس إلى أعلى مستوى لها في الاهتمام والإعداد والثقافة، وذلك في عهد خلفاء الدولة العباسية، فقد صادفت هذه المجالس حكاماً من نوع متميز عامر بالعلم، وافر الثقافة، محب للفن، مشغوف بالإبداع، فتصادفنا شخصيات أدبية راقية من الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد، فنجد أنفسنا أمام أسماء شامخة كالرشيد، والمأمون، والواثق، والبرامكة، وإذا بهؤلاء الحكام يهتمون اهتمامًا كبيرًا ومتميزًا بمجالسهم الأدبية ، يهيئون لها الأماكن التي تليق بها، بالغة من الرقي والتنظيم والزخرفة والبذخ مبلغًا هائلًا، من ذلك ما رواه الأصمعي عن مجلس الفضل بن يحيى قائلًا "... فلما دخلت عليه إذا هو في بهو له قد فرش بالسمور، وهو في دست منه، وعلى ظهره دواج سمور أشهب، مبطن بخز، وبين يديه كانون فضة، فوقه أثفية ذهب، في وسطها تمثال أسد رابض، في عينيه ياقوتتان تتوقدان، وفوق الصينية إبريق زجاج فرعوني، وكأس كأنها جوهرة محفورة، تسع رطلًا لا أظنها يفي بها مالًا كثير، وهو على سرير من عاج" (ابن المعتز، د.ت، ص214). وأعظم من هذه المجلس أبهة وإسرافًا وبذخًا ما رواه ابن المعتز عن مجلس الأمين يقول:

"بُنِي للمخلوع مجلس لم ترَ العرب والعجم مثله، قد صوّر فيه كل التصاوير وذهب سقفه وحيطانه وأبوابه، وعلقت على أبوابه ستور معصفرة مذهبة، وفرش بمثل ذلك من الفرش، فلما فرغ من جميع أسبابه، وعرف ذلك اختار له يومًا، وتقدم بأن يؤمر الندماء والشعراء بالحضور غدوة ذلك اليوم، ليصطحبوا معه فيه، فلم يتخلف أحد وكان فيمن حضر أبو نواس، فدخلوا فرأوا أسًا لم يروا مثله قط، ولم يسمعوا به، من إيوان مشرف فاتح فاسخ يسافر عليه البصر، وجعل كالبيضة بياضًا ثم ذهب بالإبريز المخالف بينه باللازوردي، ذي أبواب عظام، ومصاريع غلاظ، تتلألأ فيها مسامير الذهب، وقد قمعت رؤوسها بالجوهر

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

النفيس، قود فرش بفرش كأنها صبغ الدم، فنقش تصاوير الذهب، وتماثيل العقيان، ونُضِّد فيه العنبر الأشهب، والكافور المصعَّد، فأمر فنشرت عليهم فانتهبوها، والشراب يدور عليهم بالكبير والصغير، من الصرف والممزوج، وليس يمنع أحد منهم مما يريد، ولا يكره على ما يأباه وكان جيد الشراب، فصبروا معه إلى أن سكر فنام" (ابن المعتز، د.ت، ص214).

وإذا كانت كل هذه الزخارف لا تعنينا كثيرًا في شكلها، فإن الذي يعنينا اهتمام الحكام بها على هذه الشاكلة، فلم يكن يعني هذا الاهتمام إلا بما يدور فيها من أدب وفن، فكما اهتم الحكام بهذه الصورة بتجهيز أماكن مجالسهم الأدبية فإنهم اهتموا أكثر بما يدور داخلها من أدب، وأشرفوا عليه إشراف المتمكن منه، العالم به، المشارك فيه، المتمتع به.

وقد امتلأت كتب الأدب ومصادره بكثير من الشعر والنثر الذي تداوله الشعراء والمبدعون في حضرة الحكام في هذه المجالس " كانوا في هذه المجالس يتناولون جد الحياة فيحسون فيه، فنراهم يروون الشعر وينقدون الشعراء، ويتحدثون بطرائف الحديث وغرائبه، ويتناولون الخلفاء والأمراء والوزراء بالمدح وضرب الثناء، فيخرجون وقد أملأت أيديهم بخيرات الدنيا، فإذا خرجوا ذهبوا بما كسبوا من العطاء إلى حيث ينفقونه في اللهو واللعب، وفي اللذة والفسوق" (حسين، د.ت، ص34).

وقد كان من الخلفاء من يجعل يوماً من أيام الأسبوع لاستقبال الشعراء، والاستماع إلى أدبهم في مجلسه، ويجعل محور الحديث برمته للشعر، فيتبارى الشعراء كل يحرص أن ينال الجائزة الكبرى من الخليفة أو من الوزير، كل يُحَسِّنُ بضاعته بما يستطيع لها من تحسين.

ويبحث عما يرضي ولي الأمر بكل ما أوتي من بيان، سواء اتفق ذلك مع مذاهبه وميوله هو أو لم يتفق؛ لأنه إنما جاء إلى هذا المكان المعد لذلك من أجل غيره لا من أجله هو "بعث المهدي إلى بشار فقال له: قل في الحب شعراً ولا تطل، واجعل الحب قاضياً بين المحبين ولا تسَمِّ أحداً، فقال:

اجْعَلِ الحُبَّ بَيْنَ حِنّيْ وبَـيني * قاضياً إنَّني به اليَوْمَ رَاضِي**

فاجْتَمَعْنا فَقُلْتُ يَاحَبَّ نَفْسِي * إنَّ عَيْنِي قليلــة إلا غْمَاض**

فبعث إليه المهدي: حكمت علينا ووافقنا ذلك، فأمر له بألف دينار" (الأصفهاني، 1969، ص1068).

ومن ذلك أن المهدي كان قد أجرى الخيل، فسبقها فرس له يقال له الغضبان، فطلب الشعراء، فلم يحضر إلا أبُودُ لامة فقال له: قلّد يا زَنْد، فلم يفهم، ما أراد، فقلده عمامته، فقال المهدي: يابن اللخناء أنا

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

أكثر عمائم منك، إنما أردت أن تقلده شعراً، ثم قال: ياهفي على العُمَاني، فلم يتكلم بها حتى أقبل العماني فقيل له: ها هو ذا قد أقبل الساعة يا أمير المؤمنين، فقال: قدموه، قدموه، قلد فرسي هذا، فقال غير متوقف: (الأصفهاني، 1935، ص320)

قَدْ غَضِبَ العَصْبَانُ إذ جَدَّ الغَضَبْ *** وَقَامَ يَحْمِي حَسَبَاً فَوْقَ الحَسَبْ
من إرث عَبَّاسِ بْن عَبْدِ المُطَّلبْ *** وَجَاءَت الخَيْلُ بِه تَشْكُو التَّعَبْ
لهُ عَلَيْهَا مَا لَكُمْ عَلَى العَـــرَبْ

ويُعجب الهادي بسيف عمرو بن معد يكرب، فدعا به بعد ما ولى الخلافة، ووضعه بين يديه، وملء مكتل دنانير، وقال لحاجبه: ائذن للشعراء، فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا في السيف، فبدأهم ابن يَامِيْن البَصْرِي فقال: (المسعودي، 1958، ص345)

حَازَ صَمْصَامَة الزَّبَيْدِيّ عَمْرو *** مِنْ جَمِيع الأنام مُوسَى الأَمِينُ
سَيْفُ عَمْرُو وَكَانَ فِيْمَا سَمِعْنَا *** خَيْرَ ما أَغْمَدَتْ عَلَيْهِ الجُفُونُ
أوقدت فوقهُ الصَّوَاعِقُ نَاراً *** ثُمَّ شَابَتْ فِيْه الدعَاف المَنُونُ
وإذا مَا شُهْرَتُه تَبْهَرُ الشَّمْسَ *** مـــن ضيَاء فَلَمْ تَكَدْ تستبينُ
وَكَأَنَّ الفرندَ وَالجَوْهَرَ الجَـار *** ري في صفْحَتَيْنِ مَـــاءً مَعِيْنُ
مَا يُبالي إذا الضريبة كانت *** أشمَـالٌ سَطـَتْ به أَمْ يَمـِينُ

حتى وصل الأمر إلى هارون الرشيد وجدنا أكثر من سابقيه اهتماماً بالأدب ورعاية له، وحباً لسماعه وتوجيهاً له "قال الرشيد للمفضل الضبي: أنشدنا بيتًا أوله أعرابي في شملته، هب من نومته، وآخره مدني رقيق عُدِّي بماء العقيق.

قال المفضل: هولت على يا أمير المؤمنين، فليت شعري بأي مهر تفتض عروس هذا الخدر؟ قال هارون: هو بيت جميل حيث يقول: (بثينة، 1966، ص16)

ألا أَيُّهَا القُوَّامُ وَيْحَكُمْ هُبُوا *** أَسَائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ

فقال له المفضل: فأخبرني يا أمير المؤمنين عن بيت أوله (أكثم بن صَيْفِي) في إصابة الرأي، وآخره (بُقْرَاط) الطبيب في معرفته بالداء والدواء، قـال لـه هارون: ما هو؟ قال: هو بيت الحسن بن هَانِي حيث يقول:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ *** وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هي الدَّاءُ

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

قال: صدقت" (بن عبد ربه، 1946، ص328).

ومن ذلك ما رواه صاحب تاريخ الرسل والملوك قال: "دخل أعرابي في جبة خز، ورداء يمان، قد شد وسطه ثم ثناه على عاتقه، وعمامة قد عصبها على خديه وأرخى لها عذبة، فمثل بين يدي أمير المؤمنين، وألقيت الكراسي فجلس الكسائي والمفضل وابن سلم والفضل بن الربيع.

فقال ابن سلم للأعرابي: خذ في شرف أمير المؤمنين، فاندفع الأعرابي في شعره، فقال أمير المؤمنين: أسمعك مستحسنًا، وأنكرك متهمًا عليك فإن يكن هذا الشعر لك وأنت قلته من نفسك، فقل لنا في هذين بيتين، يعنى محمدًا والمأمون – وهما حفافاه– فقال: يا أمير المؤمنين حملتني على القدر في غير الحذر روعة الخلافة، وبهر البديهة، ونفور القوافي عند الروية، فيمهلني أمير المؤمنين، يتألف إلى نافراتها، ويسكن روعي، قال: قد أمهلتك يا أعرابي وجعلت اعتذارك بدلاً من امتحانك، فقال: يا أمير المؤمنين نَفَّست الخناق، وسَهَّلت ميدان النفاق، ثم أنشد يقول:

هُمَا طُبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهما * وَأَنْتَ أَميرَ المُؤْمِنِين عَمُوْدُهَــا**

بَنَيْتَ بَعْبد الله بَعْدَ مُحَمَّدٍ * دُرى قبَّة الإسلام فاهْتَزَّ عُوْدُهَا**

فقال: وأنت يا أعرابي بارك الله فيك، فسلنا ولا تكن مسألتك دون إحسانك، قال الهنيدة – الهنيدة للمئة، المعجم الوسيط، مادة هَنَدَ– يا أمير المؤمنين، قال: فتبسم أمير المؤمنين وأمر له بمائة ألف درهم وسبع خلع" (الطبري، 1966، ص363).

فإذا كنا نرى أن ثقافة هؤلاء الحكام لم تكن دون ثقافة المتخصصين في علوم اللغة والأدب إلا بقدر يسير، فما بالنا إذا كانت المجالس الأدبية التي ينشد فيها كل شاعر ما جاءت به قريحته أمام الخليفة أو الوزير قد ضمت معهم علماء من أهل اللغة والأدب، فطبيعيٌّ أن ينعكس ذلك ولابد على الأدب نفسه إتقانًا وتجويدًا لاشك في ذلك، فهذا المجلس الذي ضم الكسائي والفضل وغيرهم، لابد أن يجعل الشاعر واعيًا أشد الوعي لتحسين بضاعته وتجويدها، لا يقول إلا ما يتفق مع الصحة اللغوية والأدبية والبلاغية، من أجل ذلك وجدنا الشاعر يطلب من الخليفة ضرورة التروي حتى يمرر ما سيقوله على عقله ولو للحظات، وفي كثير من الأحيان كان الخليفة يطلب من أحد الشعراء أن يسمعه شعرًا بعينه كشعر لم يُقل فيه، أو قاله شاعرٌ من الشعراء وأعجب به الحكام، أو يطلب مطلبًا شعريًا بعينه من الشعراء ومن عرفه منهم أجازه، فعن مروان بن أبي حفصة قال: "قال لي الرشيد يومًا: هل دخلت على الوليد بن يزيد؟ فقلت: نعم دخلت مع عمومتي إليه. قال: فأخبرني عنه، قال: فذهبت أتزحزح. فقال لي: إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول،

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

فقل ما شئت فقلت: يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس، وأشدهم وأشعرهم وأجودهم ... إلخ، قال لي الرشيد: فهل تحفظ شيئاً من شعره؟ قلت: نعم سمعته ينشد في خلافته ذكر هشامًا وتحامله عليه:

لَيْتَ هَشامًا عَاشَ حَتَّى يَرَى * مكتلَهُ الأَوْفَرَ قَدْ أَتْرِعَا**
كِلْنَا لَهُ الصَّاعَ الَّتِي كَالَهَــا * وَمَا ظَلَمْنَاهُ بِهَا أَصْوَعَا**
ومَا أَتْيَنَا ذَاكَ عَنْ بِدْعَة * أحلهُ الفُرْقانُ لِي أَجْمَعَا**

فقال الرشيد: يا غلام، الدواة والقرطاس، فأتى بهما، فأمر بالأبيات فكتبت (الأصفهاني، 1969، ص3545).

ومن ذلك ما يروى "عن كوثر خادم المخلوع –أي الأمين– أن محمدًا أرق ذات ليلة، وهو في حربه مع طاهر، فطلب من يسامره فلم يقرب إليه أحد من حاشيته، فدعا حاجبه فقال: ويلك! قد خطرت بقلبي خطرات فأحضرني شاعرًا ظريفًا أقطع به بقية ليلتي. فأتاه بأبي نواس، فقال الأمين له: إنه عرضت بقلبي أمثال أحببت أن تجعلها في شعر، فإن فعلت ذلك أجزت حكمك فيما تطلب، فقال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: قولهم: عفا الله عما سلف، وبئس والله ما جرى فرسي، واكسري عودًا على أنفك، وتمنعي أشهى لك. قال حكمي أربع وصائف مقدودات، فأمر بإحضار هن، فقال:

فَقَدْتُ طُولَ اعتِلالِك * وَمَا أَرَى فِي مِطَالِكْ**
لَقدْ أَردتِ جَفَائِـــي * وَقَد أردتُ وِصَالَكْ**
مَـــــاذَا أَردتِ بِهَذَا * تَمَنَّعِـــي أَشْهَى لَكْ**

وأخذ بيد وصيفة فعزلها، ثم قال:

قَدْ صحَّتِ الأيمَانُ مِن حَلْفِك * وَصَحت حتى متُّ من خلفِكِ**
بـــاللهِ يا ستّي احنثِـــي مَرَّةً * ثم اكسرِي عُودًا عَلَى أنفِكِ**

ثم عزل الثانية، ثم قال:

فَديتُكُ مَاذَا الصَّلَفْ * وَشَتْمُكَ أهلَ الشَّرفْ!**
صَلِّي عَاشِقًا مُدنفًا * قد اعتِب مما اقترَفْ**
ولا تذْكُري مَا مضَى * عَفَا الله عَمَّا سَلَفْ**

ثم عزل الثالثة، ثم قال:

وَبَاعِثَاتِ إليَّ في الغَلسَ * أن ائتِنَا واحْترسْ من العسسَ**

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

حَـتى إذَا نُوَّم العُـــداةُ ولَمْ	***	أخْشَ رَقيبًا ولا سَنَا قبس
رَكبتُ مَهْري وقد طربْتُ إلي	***	حُور حِسَان نَوَاعِم لعس
فَجئتُ والصُّبح قَدْ نُهَضتُ له	***	فبئْسَ واللهِ مَا جَرَى فَرِسِي

فقال له: خذهن لا بارك الله لك فيهن" (الطبري، 1966، ص520).

وقد كان المأمون عالم هذه الدولة، لم يقتصر في تبحره على علم واحد، وإنما كان موسوعة علمية أدبية فقهية بلاغية، لم ينقصه عن مرتبة العلماء شيء، زين مجلسه بالعلماء والأدباء، ومسامراته بالشعر ومجالسه كل مجي العلم، ولم يكن مجلسه الأدبي إلا سوقًا كبيرة يروج فيها الشعر، "قال اليزيدي: قال المأمون يوماً في مجلس وعنده جماعة من قريش: أيكم يحفظ أبيات عبد الله بن الزبعري التي يعتذر فيها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال مصعب بن عبد الله الزبيري: أنا يا أمير المؤمنين، قال فأنشدنا، فأنشد:

مَنَعَ الرقاد بَلابَلٌ وهُمُوْمُ	***	واللَّيْلُ مُعْتَلجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ
مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لامَني	***	فيه فبِتْ كَأَنني مَحْمُوْمُ
يا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا	***	عَيْرَانَة سَرْحُ اليَدَيْن رَسُوْمُ

إلى آخر القصيدة، فأمر المأمون لمصعب بثلاثين ألف درهم وقال: ليكن القُرَشِيُّ مثلك" (ابن طيفور، 1949، ص53).

"قال محمد بن الجهم: دعاني المأمون فقال: أنشدني بيت مدح نادر فأنشدته:

يجُودُ بالنَّفْس إذ ضَنَّ الجَوَادُ بها	***	وَالجُوْدُ بالنَّفْسِ أَقصَى غايَة الجُودِ

فقال: وليتك هَمَدَان، فأنشدني بيت هجاء نادرًا فأنشدته:

قُبحَتْ مَنَا ظِرُهُ فحِيْنَ خَبرْتُهُ	***	حَسنَتْ مَنَاظِرَهُ لِقُبْحِ المِخْبَر

فقال: قد وليتك الدِّيْنَورَ، فأنشدني بيت مرثية نادراً فأنشدته:

أَرَادُوْا لِيُخْفُوْا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ	***	فَطِيبُ تُرَابِ القبرْ دلّ على القبر

فقال: قد وليتك نَهَاوَند، فأنشدني بيت غزل فأنشدته: (ابن الجوزي، 1995، ص74).

حِبٌ مُجِدٌّ وَحَيِيْ يَلْعَبُ	***	وَالقَلْبُ مَا بَيْنَهُمَا يَذْهَبُ

وكان لبعض الشعراء مواعيد محددة يذهبون فيها إلى قصر الحاكم من أجل إنشاد الشعر، سواء أنشدوا أم لم ينشدوا، فحسين بن الضحاك يقول "كانت لي نوبة في دار الواثق أحضرها جلس أو لم يجلس" (الأصفهاني، 1969، ص3601).

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

أما عن الموضوعات التي كانت موضح اهتمام الشعراء، فقد كان المدح أولها بطبيعة الحال على في المجلس مادحًا وممدوحًا، ولكن المدح لم يستول على هذه الجلسات بمفرده، وإنما وُجد غيره من أغراض الشعر، من رثاء، أو غزل أو هجاء إلى غير ذلك من الفنون.

ولم يكن لشخصية الحاكم –خليفة كان أو غير خليفة– دوره الهام في توجيه هذه المجالس الوجهة الصحيحة فقط، بل كان يغوص في مواضيع الساعة، واهتمامات المثقفين، ويبقى الرشيد وولده المأمون منارتين مشعتين في هذا المجال.

ولم تقتصر هذه المجالس على الخلفاء فقط، وإنما شاركهم فيها الوزراء وكبار القادة، ولا يزال التاريخ يسرد لنا الحكايات الطويلة عن مجالس البرامكة وما قدمته من خدمات لا تنكر للعلم والأدب، وفي شهرة مجالسهم عوضٌ عن ذكر شيء منها، فقد كانوا حركة أدبية تستحق الدراسة والبحث إن لم تكن قد درست بالفعل.

وكان لكثير من كبار القادة مجالس أدبية، ويرعون الشعراء، من ذلك ما يرويه أحمد بن يوسف عن أحد الأدباء حين ذهب إلى (أبي دُلف) ينشده الشعر، فإذا بعض من حضر ينكر على أبي دلف اهتمامه به وحد به عليه فقال له أبو دلف: "إنه أديب، وإنه شاعر" (ابن طيفور، 1949، ص132).

قدمت إذن هذه المجالس التي كان الحكام من بني العباس يرعونها أيادي سخية للأدب والشعر، وساعدت في تطويره وتشجيعه، ووجهته، وتركت فيه أثرًا بينًا، لن نكون مبالغين حين نعترف لهم بالفضل على الأدب وعلى الأدباء، بل إن ذلك حقهم، ولنا أن نتخيل مجتمعًا كهذا، قد لا يمر يوم إلا وتعقد جلسة أدبية لخليفة أو لوزير، فإن لم تكن لوزير فلقائد أو قريب من القصر العباسي، وكأني بهذا المجتمع الحاكم انشغل بالأدب بشكل كبير حتى جعل له الكثير من الوقت، والكثير من الاهتمام، والكثير من الجهد.

وتستطيع أن ترجع شيئًا كثيرًا من الدور لحكام بني العباس في هذا الكم الهائل من الشعر والأدب، الذي أنشده الشعراء داخل قصور الحكام، ومن الملاحظات التي يجب عدم إغفالها أن الجزء الأكبر من الشعراء ذوي المواهب المتميزة في هذا العصر كان معظم شعرهم يدور في فلك خليفة أو وزير أو أمير، وقد اشتهرت مجموعة من الشعراء بالدعوة العباسية كأبي دُلامة، ومروان بن أبي حفصة، وسلم الخاسر، ومجموعة أخرى بالوزراء والولاة والقواد كأبي الشيص، وعبد الله بن أيوب التيمي، وعلي بن جبلة العَكَوك ، والخزيمي، هذا بجانب أعلام الشعراء ودورانهم في فلك الحكام كبشار، وأبي نواس، وأبي العتاهية ، ومسلم بن الوليد، وأبي

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

تمام، وابتعد كثير من الشعراء عن الشهرة، مثل نُصيب الأصغر وأبي شُرَاعة، وأبي الأسد وغيرهم، وهم من شعراء هذا العصر، ولم يكن السبب المباشر لعدم شهرتهم إلا ابتعادهم عن الدوران في فلك الحكام.

المبحث الثاني: أثر خلفاء الحقبة الأولى من الخلافة العباسية في الشعر:

مفهوم السياسة من وجهة النظر الإسلامية يعني: تدبير شؤون الأمة حسب التعاليم الإسلامية، التي تتناول الجوانب الدينية والدنيوية معًا، "ذلك أن الإسلام كما فهمه المسلمون الأولون – دين وسياسة، عقيدة ونظام، فالدين والسياسة متلازمان في الشريعة الإسلامية" (الهادي، 1982، ص80).

وقد قام الحكام العباسيون بهذا الدور إلى حد كبير، فلم يفصلوا الدين عن الدولة، بل ظلوا ذائدين عن الدين، كما حافظوا على كرسي الخلافة في عهود قوتهم، فالمهدي يتتبع الزنادقة ويستأصل شأفتهم، والرشيد يحج عامًا ويغزو عامًا، والمعتصم يجيش الجيوش لنجدة امرأة مسلمة في أيدي العدو، وغير هذه المواقف التي يتضح من خلالها حفاظ الحكام على تعاليم الدين، ومحاربة أعدائه، والقيام بتعاليمه، والانتهاء عند نواهيه إلى حد كبير، وإن كان لهم تجاوزاتهم الدينية، ومخالفاتهم البسيطة، فما هي إلا شهوات، لا تمس عقيدة الإيمان الحقيقة في شيء حسب تصوري، وكما حافظوا على تعاليم الدين، فإنهم أهرقوا أنهارًا من الدماء من أجل كرسي الخلافة، ولا يمكن للتاريخ أن ينسى آلاف الأرواح التي أزهقها السفاح، ثم المنصور، ثم الأمين والمأمون، من أجل هذا المنصب المهم منصب الخليفة.

أما ما يود الباحث الحديث عنه في هذا الموضوع من البحث، فهو ما قامت به السياسة من دور في خدمة الأدب، وما قام به حكام العباسيين أنفسهم من تحريك لقرائح الشعراء والأدباء للمشاركة في القضايا السياسية بفنهم وأدبهم، ومن إثارة موضوعات يتغنى بها الشعر في قصائدهم ومقطوعاتهم، بشكل مباشر مقصود، يتمثل في قصائد المدح التي خبرها الشعراء بتشجيع من الحكام أنفسهم مغنين فيها بانتصارات هؤلاء الحكام في حروبهم السياسية داخليًا وخارجيًا، من أمثال قصائد مروان بن أبي حفصة في المهدي والرشيد.

وفي معن بن زائدة الشيباني وجعفر بن يحيى البرمكي وغيرهم، وأمثال علي بن جبلة العَكَوَّكَ في قصائده في أبي ذلف العجلي، وفي حُمَيْدِ الطُّوسِيِّ، وأبو تمام وشعره العظيم الذي ساير الأحداث السياسية والانتصارات العباسية، وأشهر قصائده حين فتح الله للمسلمين عمورية علي يد أبي إسحق المعتصم، وغير هؤلاء من الشعراء ممن يطول المقام بحصرهم جميعاً، أو الذود عن أحقية العباسيين بالخلافة، وما يتطلبه ذلك

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

من حجج منطقية، وبراهين عقلية، كما يقول مروان بن أبي حفصة في قصيدة يمدح بها المهدي: (ابن أبي حفصة، د.ت، ص104).

يَابْنَ الَّذي وَرَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا	***	دُونَ الأقارب مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ
الوَحْيُ بَيْنَ بنِي البَنَاتِ وَبَيْنَكُمْ	***	قطَعَ الخِصَامَ فَلَاتَ حِيْنَ خِصَامِ
مَا لِلنِّسَاءِ مَعَ الرِّجالِ فريضة	***	نَزَلَتْ بذَلِكَ سُـورَةُ الأَنْعَـامِ
أَنَّ يَكُـوْنَ وَلَيْسَ ذَاكَ بكَائِن	***	لِبَنِي البَنَاتِ وَرَاثَـةِ الْأَعْمَـامِ

وقد أجاد مروان بن أبي حفصة في هذا الموضوع، حينما استخدم البراهين والأدلة من القرآن الكريم للتدليل على أحقية العباسيين في الخلافة.

وقد كان الصراع على الخلافة ميدانًا فسيحًا تسابق فيه الشعراء، يمدحون هذا، ويذمون ذاك، ويبرهنون على أحقية هذا ويبعدون الأحقية عن ذاك، مما جعل ذلك بابًا طويلًا من الأبواب التي أخرجت لنا كمًا وافراً من الشعر الذي يدور في فلك السياسة بشكل أو بآخر.

فهذا سلم الخاسر يمدح الرشيد حين عقد البيعة للأمين بولاية العهد: (الطبري، 1966، ص240)

قدْ وَفَقَّ اللَّهُ الخَليفـَة إِذْ بَنَى	***	بَيْتَ الخَلِيْفَةِ للهجانِ الْأَزْهَر
فَهُوَ الخَليفَة عَنْ أَبِيْهِ وَجَدِّهِ	***	شَهِدَا عَلَيْهِ بِمَنْظَرٍ وَبِمَخْبَر
قدْ بَايعَ الثَّقْلانِ فِي مَهْدِ الهُدَى	***	لَمُحَمَّد بْن زُبَيْدَة ابْنَة جَعْفَر

ويقول منصور النمري أيضاً: (الطبري، 1966، ص240)

أَمْسَتْ بمَرْو عَلَى التَّوْفِيق قَدْ صَفقَتْ	***	عَلَى يَدِ الفَضْلِ أَيْدِي الْعُجْمِ وَالعَرَبِ
ببـيعَة لِوَلِيّ العَهـــــدِ أَحْكـــمَهَا	***	بِالنُّصح مِنْهُ وَبِالإِشْفَاقِ وَالحَـــدَبِ
قد وَكَدَ الفَضْلُ عَقْدًا لا انْتِقَاضٍ لَهُ	***	لِمُصْطَفَى مِنْ بَنِي العَبَّاسِ مُنْتَخَبِ

ثم يكتب الرشيد عهدًا بعد ذلك لأبنائه الثلاثة، الأمين، ثم المأمون، ثم القاسم، فينبري الشعراء على الفور يحمدون هذا المبايعة، فيقول سَلْمٌ الخاسِرُ: (الطبري، 1966، ص276)

بَايَعَ هَارُونٌ إِمَامُ الهُدَى	***	لذى الحِجَى وَالخُلُقِ الفاضلِ
المُخْلِفِ المُتلفِ أَمْوَالَهُ	***	وَالضَّامِنِ الأَثْقَالَ للحَامِلِ
والعَالِمَ النَّافِذِ فِي عِلْمِهِ	***	والحاكِمِ الفَاضِلِ والعَادِلِ
فَتَمَّ بِالْمَأْمُون نُورُ الهُدَى	***	وَانْكَشَفَ الجَهْلُ عَن الجَاهِلِ

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

وقال عَبْدُ الْمَلِكِ بن صالح: (الطبري، 1966، ص276)

حَبُّ الخَلِيقَةِ حُبّ لا يُدِينُ بِهِ	***	مَنْ كَانَ اللهِ عَاصٍ يَعْمَلُ الفِتَنَا
الله قَلَّدَ هَارونًا سِيَا سَتَنَا	***	لَمَّا اصْطَفَاهُ فَأَحْيَا الدِّيْنَ والسُّنَنَا
وَقَلَّدَ الْأَرْضَ هَارُونَ لِرَأفَتِهِ	***	بِنَـــا أَمِيناً ومَــأمُوتًا وَمُوْتَمَنَــا

ولما بايع الأمين لابنه موسى قال شاعر من أهل بغداد: (الطبري، 1966، ص500)

أَضَاع الخَلافَة غِشَّ الوَزِيرْ	***	وَفِسْقُ الإِمَامِ وَجَهْلُ المُشِيْرْ
فَفَضْلٌ وَزِيْرٌ وبَكْرٌ مُشِيْرٌ	***	يُرِيْدَانِ مَا فِيهِ حَتْفُ الأميرْ
لُوَاطُ الخَلِيفَةِ أَعْجُوبَة	***	وأعْجَبُ مِنْهُ خَلاقُ الوَزِيرْ
فهَذَا يَدُوسُ وَهَذا يُدَاسُ	***	كذَاك لعَمْري اخْتِلَاف الأمُورْ

بل إن شاعرًا آخر يهجو الأمين نفسه هجاءً مُرًّا، ويرى عدم أحقيته في الخلافة نفسها فيقول: (الطبري، 1966، ص500)

لِمَ نَبْكِيْكَ لِمَاذَا؟ للطَّرَبُ	***	يَا أَبَا مُوسَى وَتَرويح اللَّعِبْ
ولتَرْكِ الخَمْس في أَوْقَاتِهَا	***	حَرصًا مِنْكَ عَلَى مَاءِ العِنَبْ
لَمْ تَكُنْ تَصلُحُ لِلْمُلْكِ وَلَمْ	***	تُعْطِكَ الطَّاعَة بِالْمُلْكِ العَرَبْ
أَوْجَبَ الله عَلَيْنَا قتْلَهُ	***	فإِذَا مَا أَوْجَبَ الْأَمْرَ وَجَبْ
كَانَ والله عليْنَا فِتْنَة	***	غضِبَ اللهُ عَلَيْه وكَتَبْ

وعلى هذا الحال، لا يزال الصراع على كرسي الخلافة مصدر قول للشعراء، ما بين مؤيد لخليفة ما ومعارض له، ولا ننسى أن هذا الصراع على الكرسي بين الخلفاء وولاة العهود، قد تسبب في نكبة بعض الشعراء، فها هو أبو نخيلة الشاعر يغري المنصور بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وبعقده لابنه المهدي فيكون ثمن هذا الأغراء حياته (الأصفهاني، 1969، ص8107).

إذًا فإن هذه الأحوال السياسية، قد تركت لنا كمًا غير قليل من الشعر، نتحدث عنها بتدقيق أكثر عن الحديث عن دور الحكام في أغراض الشعر العباسي.

ولم يكن دور الحكام السياسي مقتصراً على الصراع على كرسي الخلافة فقط، وإنما اتسع هذا الدور ليشمل غير ذلك من الصراعات داخل البيت العباسي نفسه، كالصراعات المذهبية، والدينية، فهذا شيعي، وهذا سني، وذاك ماجن مستهتر، وهذا تقي ورع، وغيره مغنى إلى غير ذلك، وقد خاض الشعراء في كل هذه

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

الاضطرابات السياسية، وأبدعوا فيها القول، لكن بابًا سياسيًا أوسع من ذلك كان مفتوحًا أمام الشعراء، قالوا فيه فأبدعوا، وجاءت قرائحهم على أعلى ما تكون الإجادة، وهو فن تأريخ الانتصارات السياسية الكبيرة –إذا صح القول– فلقد مدحوا القواد والخلفاء والوزراء بقصائد مملوءة صدقًا شعوريًا، لم يلو الشاعر بها عنق قريحته؛ لأن الانتصارات السياسية يكون الشاعر فيها جزءًا من المنتصرين كممدوحه، فيمدحه مدحًا صادقًا، فلم تفت الشعراء معركة حربية انتصر تمامًا فيها العباسيون إلا وجدنا الشعراء يرصدون لنا تفاصيلها فهذا على بن جبلة يصف جيشًا للمسلمين على قيادته حميد الطوسي، يقول: (ابن جبلة، د.ت، ص3)

غدا بأمير المُؤْمِنِينَ وَيُمْنه * أَبُو غَانِمٍ غَدْوَ النَّدَى وَالسَّحَائِبِ**
وَضَاقَتْ فِجَاجُ الْأَرْضِ عَنْ كُلِّ مَوْكِبٍ * أحَاطَ بِهِ مُستعليًا للمَوَاكِبِ**
كَأَنَّ سُمُوَّ النَّقْعِ وَالبَيْضَ تَحْتَهُ * سَمَاوَات لَيْل أَسْفَرَتْ عَنْ كَوَاكِبِ**

ومروان بن أبي حفصة يمدح الفضل بن يحيى البرمكي حين قضي على عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فيقول: (ابن أبي حفصة، د.ت، ص103)

ظَفَرْتَ فَلاَ شُلَّتْ يَدٌ بَرْمَكِيَّة * رَتَقْتَ بِهَا الفَتْقَ الذِي بِيْنَ هَاشِمِ**
عَلَى حين أعْيَا الرَّاتِقِيْنَ التئامُهُ * فكَفُوا وَقَالُوا لَيْسَ بالمُتلائِمِ**
فَأَصْبَحْتَ قَدْ فَازَتْ يَدَاكَ بِخُطَّة * مِنَ المَجْدِ بَاقٍ ذِكْرُهَا فِي المَوَاسِمِ**
وَمَازَالَ قَدْحُ المُلْكِ يَخْرُجُ فائزًا * لَكُمْ كُلَّمَا صُمَّتْ قَدَاحُ المُسَاهِمِ**

ولما ظفر الأفشين قائد المعتصم ببابك الخرمي، أدخل المعتصم عليه الشعراء يمدحونه، وأمر لهم بصلات، فقال فيه أبو تمام: (الطبري، 1966، ص55)

بَنَّ الجَلادُ البنَّ فَهُوَ دَفَيْنُ * مَا إِنْ بِهِ إِلَّا الْوُحُوشَ قَطِيْنُ**
لَمْ يَقْرِ هَذَا السَّيفُ هَذَا الصَّبْرَ فِي * هَيْجَاءَ إِلَّا عَزَّ هَذَا الدِّيْنُ**
قدْ كَانَ عُذْرَة سُوْدَد فافْتَضَّها * بالسَّيْف فَحْلُ المَشْرِق الأفشينُ**

ثم تشتهر زندقة الأفشين، فيفتك به المعتصم، وفيها يقول أبو تمام:

الحَقّ أَبْلَجُ والسَّيُوفُ عَوَار * فَحَذَار مِنْ أَسَدِ العَرِيْنِ حَذَارِ**

والتي يقول فيها: (أبو تمام، د.ت، ص301)

جَالَتْ بِخَيْذَر جَوْلَة المِقْدَار * فأحَلَّهُ الطُغْيَانُ دَارِ بَوَار**
كمْ نِعْمَة الله كَانَتْ عِنْدَهُ * فَكَأَنَّهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَار**

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

كُسَيَتْ سَبَائِبُ لُؤْمِه فَتَضاءَلَتْ *** كَتَصَاؤُلِ الحَسَنَاء في الأطْمَار
مَازَالَ سِرُّ الكُفْر بَيْنَ ضُلُوْعِهِ *** حتى اصطلَى سرَّ الزنَادِ الوَارِيْ

وعلى هذه الصورة، تابع الشعراء الانتصارات السياسية، وأرخوا لها تأريخًا أدبيًا، يحيط بكل انتصار سياسي، سواء أكان عسكريًا أم مذهبيًا.

ولم يقتصر الأمر على هذا المدح السياسي الذي تتبع فيه الشعراء انتصارات الحكام، فكان ميدانًا فسيحًا من ميادين القول، ولكن المشاركة نحت نحوًا آخر، تجاه رثاء القادة العظام الذين سقطوا شهداء في المعارك التي خاضتها الدولة ضد أعدائها، فما من قائد مرموق يسقط أو خليفة يموت؛ إلا وينبري الشعراء في رثائه بعواطف ملتهبة حينًا، وباردة حينًا آخر، فهذا علي بن جبلة يرثي حميدًا الطوسي فيقول: (ابن جبلة، د.ت، ص81)

أللدهْر تَبْكِي أَمْ عَلَى الدَّهْرِ تَجْزَعُ *** وَمَا صَاحُبِ الأَيَّامِ إِلَّا مُفَجَّعُ
وَلَوْ سَهُلَتْ عَنْكَ الأَسَى كَانَ فِي الأَسَى *** عَزَاءُ مُعزٍ لِلَّبِيْبِ وَمَقْنَعُ
تَعَزَّ بِمَا عَزَّيْتَ غَيْرَكَ إِنَّهَا *** سِهَامُ المَنَايَا رَائِحَاتٌ وَوُقَّعُ

ولقد مدح الشعراء حُمَيْدًا فأكثروا، ثم سقط شهيدًا بصورة مفاجئة، جعلت الشعراء يبكونه بكاءً مُرًّا، لم يحظ كثيرون بمثل رثائه.

وهذا مروان بن أبي حفصة يرثي معن بن زائدة الشيباني فيقول: (ابن جبلة، د.ت، ص81)

مَضَى لِسَبِيْلِهِ مَعْنٌ وأبقى *** مكارم لَن تَبِيْدَ وَلَنْ تُنَالاَ
كَأَنَّ الشَّمْسَ يَوْمَ أَصِيْبَ مَعْنٌ *** مِنَ الإِظْلَامِ مُلْبَسَة جَلالا
هُوَ الجَبَلُ الَّذِي كَانَتْ نَزَارٌ *** تَهُدُّ مِنَ العَدُوِّ بِهِ الجِبَالا
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمُ لِمَعْنٍ *** إِلى أَنْ دَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالا

وهكذا انبري الشعراء يبكون الأبطال والقواد السياسيين، وإن كان مطمح الشاعر من رثائه نوالا أو غيره، فإن ذلك أمر آخر، فهو رثاء سياسي على أية حال، شارك فيه الحاكم –وإن كان ميتًا– الشاعر في الدور الذي من أجله ولد الفـن، بشجاعته، أو بكرمه الزائد قبل موته أو بشهرة شخصيته.

ومن الحكام العباسيين الذين رثاهم الشعراء رثاء حاراً قد لا ينساه الزمن، وزراء الرشيد البرامكة، فقد كانوا أيادي سخية، أفاد منها الناس بكافة مستوياتهم، حتى إذا نكبوا تركوا في الناس حسرة كبيرة، وألماً

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

واسعًا، فجَّرَ ينابيع الشعر عند الشعراء، فغدوا يصرخون عليهم أشد الصراخ من شعراء ليسوا من الشهرة بمكان، فهذا شاعر ذكره الطبري في تاريخه لم يذكر اسمه يقول: (ابن أبي حفصة، د.ت، ص79)

هَوَتْ أَنْجُمُ الجَدْوَى وَشُلَّتْ يَدُ النَّدَى * وَغَاضَتْ بُحُورُ الْجُوْدِ بَعْدَ البَرَامِك**

هَوَتْ أَنْجُمٌ كَانَتْ لأَبْنَاءِ بَرْمَك * بِهَا يَعْرِفُ الحَادِي طَرِيقَ المَسَالِكِ**

وقد عقد الطبري بابًا في تاريخه لما قيل في البرامكة بعد زوال ملكهم من الشعر ولم يقتصر هذا الباب من الرثاء على رثاء الأفراد، خلفاء أو وزراء أو قواد، بل وجدنا بابًا جديدًا من الرثاء يُستحدث في الشعر العربي، وهو بكاء المدن الزاهرة، يقول الطاهر أحمد مكي: "بكاء المدن الزاهرة شعرًا حين تأتي عليها الفتن المدمرة، والممالك حين تذهب بها الثورات العاتية، له أصول مشرقية، أول ما نلتقي بها في تلك الدموع الغزيرة التي ذرفها الشعراء على بغداد أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون عام 197هـ، حين حاصرها طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون، ولاقت خلاله بلاء شديدًا، يعجز عنه الوصف (مكي، 1987، ص201). وقد صور الشعراء هذه النكبة بدقة، وجسدوها صوراً حية، فوقعة يوم الأحد، يقول الشاعر عنها: (الطبري، 1966، ص461)

وقعة يوم الأحد * صارت حديث الأبد**

كم جسد أبصرته * ملقى وكم من جسد**

وناظر كانت له * منيه بالرصد**

أتاه سهم عائر * فشك جوف الكبد**

وصائح يا والدي * صائح يا ولدي**

ويقول آخر في وقعة يوم السبت: (الطبري، 1966، ص463)

وقعَةُ السَّبْتِ يَوْمَ دَرْب الحِجَارَة * قطَعَتْ قَطعَة من النظاره**

ذَاكَ من بَعْدِ مَا تَفَانَوْا وَلَكن * أَهْلَكَتْهُمْ غَوْغَاؤُنَا بِالحِجَارَه**

وبعد كثير من الوقعات يتم تدمير المدينة الزاهرة تدميرًا شديدًا، ويبكيها الشعراء في أشعارهم، وفيها يقول العتري: (الطبري، 1966، ص447)

مَنْ ذَا أَصَابَكَ يَا بَغْدَادُ بالعَيْنِ * أَلَمْ تَكُونِي زَمَانًا قُرَّةَ العَيْنِ!**

أَلَمْ يَكُنْ فِيْك قَوْمٌ كَانَ مسْكَنُهُمْ * وَكَانَ قُرْبُهُمُ زَيْنًا منَ الزَّيْنِ!**

صَاحَ الغُرَابُ بِهِمْ الْبَيْنِ فَافْتَرَقُوْا * مَاذَا لَقِيْتَ بِهِمْ مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ!**

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

أَسْتَودِعُ اللهَ قَوْماً مَا ذَكَرْتُهُمُ	***	إِلَّا تَحَدَّرَ مَاءُ العَيْنِ مِنْ عَيْنِي
كَانُوْا فَفَرَّقَهُمْ دَهْرٌ وَصَدَّعَهُمْ	***	وَالدَّهْرُ يَصْدَعُ مَا بَيْنَ الفَريقين

وبيكيها الخُرَيْمي(الزركلي، د.ت، ص224) في قصيدة طويلة يقول فيها: (الطبري، 1966، ص449)

فَإِنَّهَا أَصْبَحَتْ خَلايا من الم	***	إِنْسَان قَدْ أَدْمِيَتْ مَحَاجِرُها
قَفَرًا خَلَاءً تَعُويُّ الكِلابُ بِهَا	***	يُنْكِرُ مَنْهَا الرَّسُوْمَ زَائِرُهَا
وأَصْبَحَ البُوْسُ مَا يُفارقها	***	إِلْفاً لَهَا والسُرُورُ هَاجِرُهَا

وهكذا غدت السياسة ميدانًا فسيحًا من ميادين القول، قال فيها الشعراء فأجادوا وأثروا، وقد كان للبيت الحاكم –بصفته مركزًا سياسيًا– دور في تحريك هذه المواهب الشعرية للجري والخوض في الشؤون السياسية، وبشكل مباشر، ممثل في المدح وبعض الرثاء، وغير مباشر في بعض الرثاء، وفي تصوير المعارك الحربية.

إذا يمكننا أن نعترف بدور سياسي للحكام العباسيين، أثرى الحركة الأدبية لما دار في كنفه من أدب رفيع وشعر كثير، امتلأت به أمهات الكتب، وبطون الدواوين الشعرية.

الخاتمة

بعد هذا البحث في موضوع أثر سياسة الخلفاء العباسيين في الشعر، نصل إلى العديد من النتائج، والتي يمكن أن تتلخص في النقاط الآتية:

1) إن الخلفاء العباسيين اعتنوا بالفن الشعري متمثلًا في الشعراء، وأراحوا كثيرين منهم من هموم الحياة المالية، وجعلوهم يعيشون حياة رغد ثرية، لم يشعروا فيها بضيق الرزق، ولا بالسعي لجلبه؛ بل ما كانوا ليجدون الاعتراف الكامل بمواهبهم الفنية إلا في بلاط الخلافة.
2) إذا كان الخلفاء العباسيون قد أنفقوا على الشعراء بهذه الكثرة، فلم يكن هذا إلا تقديرًا منهم للفن والأدب، وعلمًا بأهمية الشعر كفخر لهم يبقى أبد الدهر، لذا هانت عليهم الأموال، والتذوا بالسماع.
3) لم يكن الخلفاء وحدهم أصحاب الفضل على الشعراء في العطاء، بل كان كذلك وزراؤهم وقوادهم وأعيانهم، وأهلوهم أصحاب فضل.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

4) إن العصر العباسي كان مملوءًا بالأحداث السياسية المهمة والخطيرة، التي تركت أثرها الكبير في تاريخ العرب والمسلمين على طوله وتأرجحه بين القوة والضعف، وقد كان نجاح وصولها إلى كرسي الحكم، ثم تم لهم ما أرادوا، فأحاطوها بما يضمن لها القوة والازدهار.

5) قد كان الصراع على الخلافة ميدانًا فسيحًا تسابق فيه الشعراء، يمدحون هذا، ويذمون ذاك، ويبرهنون على أحقية هذا، ويبعدون الأحقية عن ذاك، مما دعل ذلك بابًا طويلًا من الأبواب التي أخرجت لنا كماً وافرًا من الشعر الذي يدور في فلك السياسة بشكل أو بآخر.

6) إن الأثر السياسي للخلفاء العباسيين الأوائل قد أثرى الحركة الأدبية لما دار في كنفه من أدب رفيع وشعر كثير، امتلأت به أمهات الكتب، وبطون الدواوين الشعرية.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

المصادر والمراجع:

- ابن أبي حفصة م، (د،ت)، *ديوان*، جمع وتحقيق وتقديم: حسين عطوان، ط1، دار المعارف.
- ابن جبلة ع، (د،ت)، *ديوان*، جمع وتحقيق وتقديم: حسين عطوان، ط1، دار المعارف.
- ابن الجوزي، (1995)، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، دار الفكر العربي.
- ابن طيفور أ، (1949)، *كتاب بغداد*، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- ابن عبد ربه ع، (1946)، *العقد الفريد*، ضبطه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ابن كثير إ، (د،ت)، *البداية والنهاية*، خرج أحاديثه: محمد بيومي وعبد الله المنشاوي ومحمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان.
- ابن المعتز، (د،ت)، *طبقات الشعراء*، تحقيق: عبد الستار فراج، مصر، دار المعارف.
- أبو تمام، (د،ت)، *ديوان*، تحقيق: محمد عبده عزام، ط1، القاهرة، دار المعارف.
- الأصفهاني ع، (1935)، *الأغاني*، القاهرة، دار الكتب المصرية.
- الأصفهاني ع، (1969)، *الأغاني*، طبعة كاملة معها فهارس بإشراف وتحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الشعب.
- بثينة ج، (1966)، *ديوان*، تقديم: بطرس البستاني، بيروت، دار صادر.
- حسن ع، (1990)، *دراسات التاريخ الإسلامي*، مكتبة الشباب.
- حسين ط، (د،ت)، *حديث الأربعاء*، ط1، القاهرة، دار المعارف.
- الزركلي خ، (د،ت)، *الإعلام*، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
- زيدان ج، (د، ت)، *تاريخ آداب اللغة العربية*، القاهرة، دار الهلال.
- ضيف ش، (1966)، *العصر العباسي الأول*، ط14، دار المعارف.
- الطبري م، (1966)، *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف.
- المسعودي أ، (1958)، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة السعادة بمصر.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ النشر:2024/09/01

- مكي أ، (1987)، *دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة*، ط3، القاهرة، دار المعارف.
- الهادي ص، (1982)، *اتجاهات الشعر في العصر الأموي*، القاهرة، دار الثقافة العربية.
- هاشم ع، (1987)، *الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري*، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة.